قد مضى عهد ألف ليلة وليلة

للأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي

كتاب ألف ليلة وليلة يمثل ذلك العهد الذي كانت الحياة فيه تدور حول فرد واحد — وهو شخص الخليفة أو الملك أو حول حفنة من الرجال — هم الوزراء وأبناء الملوك — وكانت البلاد تعتبر ملكا شخصيا لذلك الفرد السعيد. والأمة كلها فوجا من المماليك والعبيد، يتحكم في أموالهم وأملاكهم ونفوسهم وأعراضهم، ولم تكن الأمة التي كان يحكم عليها إلا ظلا لشخصه، ولم تكن حياتها إلا امتدادا لحياته.

لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها وآدابها وشعرها وإنتاجها، فإذا استعرض أحد تاريخ هذا العهد أو أدب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الأمة أو المجتمع كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التي تنبت في ظلها وتمنعها من الشمس والهواء، كذلك تضمحل هذه الأمة في شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح أمة هزيلة لا شخصية لها ولا إرادة، ولا حرية لها ولا كرامة.

وكان هذا الفرد هو الذي تدور لأجله عجلة الحياة، فلأجله يتعب الفلاح، ويشتغل التاجر، ويجتهد الصانع، ويؤلف المؤلف، وينظم الشاعر، ولأجله تلد الأمهات وفي سبيله يموت الرجال وتقاتل الجيوش، بل ولأجله تلفظ الأرض خزائنها، ويقذف البحر نعائمه، وتستخرج كنوز الأرض وخيراتها

وكانت الأمة — وهي صاحبة الإنتاج وصاحبة الفضل في هذه الرفاهية كلها — تعيش عيش الصعاليك أو الأرقاء المماليك، قد تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر، وقد تحرم ذلك أيضا فتصبر، وقد تموت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق في التزلف وانتهاز الفرص

هذا هو العهد الذي ازدهر في الشرق طويلا وترك رواسب في حياة هذه الأمة ونفوسها، وفي أدبها وشعرها، وأخلاقها واجتماعها، وخلف آثارا باقية في المكتبة العربية، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي يصور ذلك العهد تصويرا بارعا يوم كان الخليفة في بغداد أو الملك في دمشق أو القاهرة، هو كل شيء، وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة

إن هذا العهد الذي يمثله كتاب «ألف ليلة وليلة» بأسا طيره وقصصه، وكتاب الأغاني بتاريخه وأدبه، لم يكن عهدا إسلاميا ولا عهدا طبيعيا معقولا؛ فلا يرضاه الإسلام، ولا يقره العقل، بل إنما جاء الإسلام بهدمه والقضاء عليه، فقد كان هذا هو العهد الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وأنكر على ملوكه — ككسرى وقيصر — وعلى أثرتهم وترفهم أشد الإنكار

إن هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار في أي مكان وفي أي زمان، ولا سبيل إليه إلا إذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها أو مصابة في عقلها أو فاقدة الوعي والشعور أو ميتة النفس والروح

إن هذا الوضع لا يقره عقل. ومن الذي يسوغ أن يتخم فرد أو بضعة أفراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسغبة؟ ومن الذي يسوغ أن يعبث ملك أو أبناء ملك بالمال عبث المجانين، والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر جسمهم؟ ومن الذي يسوغ أن يكون حظ طبقة — وهي الكثرة — الإنتاج وحده والكدح في الحياة والعمل المضني الذي لا نهاية له، وحظ طبقة — وهي لا تجاوز عدد الأصابع — إلا التلهي بثمرات تعب الطبقة الأولى من غير شكر وتقدير وفي غير عقل ووعي؟ ومن الذي يسوغ أن يشق أهل الصناعة، وأهل

اعتفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعماء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين

إن من حق الثورة علينا أن نتذكر ولا ننسى. نتذكر شناعة الجريمة. شناعة الانحلال الدنس

إن الديدان والحشرات التي عاشت طويلا في المستنقع كفيلة بتدنيس كل مقدس، إذا نحن سمحنا لها بالحياة مرة أخرى في الأرض الطيبة، التي يجب أن تخلو من الديدان والحشرات

سيد قطب

الذكاء ، وأهل الاجتهـاد ، وأهل المواهب ، وأهل الصـلاح ، وبتم رجال لايحسنون غير التبـذير ، ولا يعرفون صنـاعة غير صناعة الفجور وشرب الخمور ؟ ومن الذى يسوغ أن يجفى أهل الكفاية وأهل النبوغ وأهل الأمانة ويقصوا كالمنبوذين، ويجتمع حول ملك أو أمير فوج من خساس النفوس وسخاف العقول وفاقدى الضمائر ممن لاهم لهم إلا ابتزاز الأموال وإرضاء الشهوات ولا يحسنون فنامن فنون الدنيا غير التملق والإطراء ، والمؤامرة على الأبرياء ، ولا ينصفون بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياء ؟

إنه وضع شاذ لا ينبغى أن يبقى يوما فضلا عن أن يبقى أعواما

إنه إن سبق فى عهد من عهود التاريخ وبقى مدة طويلة فقد كان ذلك على غفلة من الأمة أو على الرغم منها ، ولسبب ضعف الاسلام وقوة الجاهلية ، ولكنه خليق بأن ينهار ويتداعى كلما أشرقت شمس الاسلام واستيقظ الوعى وهبت الأمة تحاسب نفسها وأفرادها

فالذين لايزالون يعيشون فى عالم (ألف ليلة وليلة) إنما يعيشون فى عالم الأحلام ، إنما يعيشون فى بيت أوهن من بيت العنكبوت ، إنما يعيشون فى بيت مهدد بالأخطار لايدرون متى يكبس ولا يدرون متى تعمل فيه معاول الهدم ، وإن سلموا من كل هذا فلا يدرون متى يخر عليهم السقف من فوقهم فإنه قائم على غير أساس متين وعلى غير دعائم قوية

ألا إن عهد ألف ليلة وليلة قد مضى فلا يخدعن أقوام أنفسهم ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تكسرت وتحطمت . إن الفردية مصباح — إن جاز هذا التعبير — قد نفد زيته واحترقت فتيلته فهو إلى انطفاء عاجل ولو لم تهب عاصفة .

إنه لامحل فى الإسلام لأى نوع من أنواع الأثرة . إنه لامحل فيه للأثرة الفردية أو العائلية التى نراها فى بعض الأمم الشرقية والأقطار الإسلامية ، ولا محل فيه للأثرة المنظمة التى نراها فى أوربا وأمريكا وفى روسيا ، فهى فى أوربا أثرة حزب من الأحزاب وفى أمريكا أثرة الرأسماليين وفى روسيا أثرة قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الكثرة وهى تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية ربما لا يوجد لها نظير فى تاريخ السخرة الظالمة (١)

إن الأثرة بجميع أنواعها ستنتهى؛ وإن الإنسانية ستثور عليها وتنتقم منها انتقاما شديدا . إنه لا مستقبل فى العالم إلا للاسلام السمح العادل الوسط ، وإن طال أجل هذه « الأثرات » وأرخى لها العنان وتمادت فى غيها وطغيانها مدة من الزمن

إن الأثرة — فردية كانت أو عائلية أو حزبية أو طبقية — غير طبيعية فى حياة الأمة ، وإنها تتخلص منها فى أول فرصة . إنه لامحل لها فى الإسلام ولا محل لها فى مجتمع واع بلغ سن الرشد ولا أمل فى استمرارها ، فخير للمسلمين وخير للعرب وخير لقادتهم وولاة أمورهم أن يخلصوا أنفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها قبل أن تغرق فيغرقوا معها .

ألا إن الفردية آذنت فى الشرق أيضا بالرحيل وبدأت نجومها تهوى ، وما هى مسئلة زيد وعمرو وإنما هى مسئلة عهد ينقضى وفكرة تختفى ومؤسسة تلفى، فليحذر الذين يعيشون عليها أن يوجهوا مصيرا واحدا

أبو الحسن على الحسنى الندوى

(١) اقرأ فى ذلك كتاب
1) The faced labour in Russa, by Evnest Tallgreu

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصير وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد